محمد الخمار الكنوني

رماد هسبريس

شعـــر

دار توبقال للنشر

مكتبة الأدب المغربي

مكتبة الأدب المغربي

رماد هسبريس

محمد الخمار الكنوني

رماد هسبريس

شعـــر

دار توبقال للنشر
عمارة معهد التسيير التطبيقي. ساحة محطة القطار
بلقدير. الدار البيضاء 05 ـ المغرب
الهاتف : 24.06.05/42

تمَّ نشرُ هذَا الكِتاب ضِمْن سِلسِلة
نصوص أدبيةْ

الطبعة الأولى 1987
جميع الحقوق محفوظة

رقم الإيداع القانوني : 6 / 1987

إلى والدتي

كتبت أغلب النصـوص بين 1965 و 1972، ونشرت في مجـلات وجرائـد مختلفـة، وقـد أدخلت عليهـا تغييرات طفيفـة عنـد إعـدادهـا للنشر، وهي مرتبة في الديوان حسب تاريخ كتابتها.

قَصَائِد

1 - وَرَاءَ المَاء

يُطِلُّ طَرِيقُكَ الْمُمْتَدُّ عَبْرَ الأُفْقِ نَحْوَ الظِّلِّ وَالْمَاء
عَلَى دُنْيَا يَمُوجُ الْعُشْبُ فِيهَا، مُرْتَمَى وَرْدٍ وَأَنْدَاء
فَتَمْضِي، أَمْ خَيَالٌ لاَحَ فِي اللَّيْلِ ؟
تَسَمَّعْ فِي الدَّوَاخِلِ : لاَ تَعُدْ لِلْخَلْفِ، مَهْمَا احْتَدَّتِ الرِّيحُ
وَشَدَّتْ ثَوْبَكَ الصُّوفِيَّ - رِيحُ الصَّحْبِ وَالأَهْلِ
وَدَوَّى خَلْفَ خَطْوِكَ : عُدْ، هُتَافُ الرَّعْدِ وَالْمَطَرِ
وَنَادَتْ مِنْ وَرَائِكَ : عُدْ - كَصَوْتِ الْمَاءِ - فِي شَوْقٍ وَفِي حُزْنِ
حُقُولُ الأَرْضِ إِذْ تَمْشِي - نِدَاءَ الأُمِّ لِلإِبْنِ،
تُضِيعُ الخَلْفَ والقُدَّامَ إِنْ وَلَّيْتَ
تَغْدُو فِي قَتَامِ الدَّرْبِ مِنْ مِلْحٍ وَمِنْ حَجَرِ.

وَرَاءَ الخَطْوِ يَنْأَى الجَدْبُ يَبْقَى فِي العُيُونِ عَلَى تَنَائِيهِ
تَغُورُ إِلَى قَرَارَتِهِ الرِّحَابُ، غَفَا المَدَى فِيهِ
ـ فَلاَ الغُدْرَانُ تُنْبِئُ عَنْهُ ـ غِيضَ المَاءُ فِيهَا ـ
لاَ الجُذُورُ تَمُوتُ، لَكِنَّ الأَسَى فِي العَيْنِ يُنْبِئُ إِذْ تَرُودُ الأُفْقَ
إِذْ تَرْنُو إِلَى أَعْلَى تُنَادِي اللهَ : غَيْثَكَ غَيْثَكَ المَيْمُونَ
يَارَبَّ الثَّرَى وَالطَّيْرِ وَالآبَارِ وَالشَّجَرِ
وَإِذْ تَرْنُو لِبَطْنِ الأَرْضِ فِي خَوْفٍ وَفِي أَلَمِ
كَأَنَّ لَهَا جَنِيناً نَامَ فِي الرَّحِمِ
كَأَنَّ الزَّارِعِينَ الأَرْضَ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَلْقَوْا بِهَا الزَّرْعَا.

وَعِنْدَ الأُفْقِ مَاءُ البَحْرِ أَزْرَقُ كَالسَّمَاءِ، أَتَيْتَهُ وَجِلاً، وَمِينَاءُ
أَرِفَّ بِهِ جَنَاحُ النَّوْرَسِ البَحْرِيِّ إِذْ يَعْلُو، وَمُصْطَفِقٌ إِذَا يُلْقِي بِهِ المَاءُ
أَتَيْتَ صُخُورَهُ السَّوْدَاءَ ـ مَا أَدْخَلْتَ فِيهِ قَوَائِمَ الفَرَسِ ـ
وَفِي عَيْنَيْكَ جُوعُ القَاعِدِينَ يُرَاقِبُونَ المَوْجَ، تَنْتَظِرُ
الذِي تَأْتِي بِهِ السُّفُنُ الغَرِيبَةُ فِي حَشَاهَا، حَابِسَ النَّفَسِ
تَظَلُّ تَشُدُّ مَا تَرْمِي بِهِ الأَمْوَاجُ وَالْقَدَرُ
وَيَفْرَحُ قَلْبُكَ المَحْزُونُ لِلدُّخَّانِ
مَا إِنْ عَادَ يَفْرَحُ لِلسَّحَابِ الثَّرِّ فِيهِ الرَّعْدُ وَالْمَطَرُ.

أَطَلَّ اللهُ لَمَّا صِحْتَ : غَيْثَكَ غَيْثَكَ المَيْمُونَ، فَابْتَسَمَا
أَطَلَّ الغَيْمُ تَدْفَعُهُ رِيَاحُ الغَرْبِ، فَجَرَّ رَعْدَهُ وَهَمَى
فَتُرْبُ الأَرْض بَعْدَ الصَّحْوِ يَعْبَقُ بِالشَّذَى الْبَرِّيِّ
تَحْيَا فِي دَوَاخِلِهِ الجُذُورُ تَظَلُّ خَضْرَاءَ
تَفَجَّرَتِ العُيُونُ مِنَ القَرَارِ عَلَى الثَّرَى مَاءَ
كَمَا تَنْحَبِسُ الأَمْطَارُ خَلْفَ البَحْرِ حِيناً ثُمَّ تَنْهَمِرُ
فَيَفْرَحُ فِي الحُقُولِ النَّاسُ بَعْدَ الخَوْفِ والحُزْنِ،
فَمَنْ سَيُطِلُّ يَبْسِمُ، أَوْ يَمُدُّ التُّرْبَ بِالمُزْنِ ؟
وَقَدْ وَلَّيْتَ وَجْهَكَ خَلْفَ هَذَا البَحْرِ تَسْتَسْقِي وَتَنْتَظِرُ
وَلَيْسَ وَرَاءَهُ رَبٌّ يُعِيدُ الخَلْقَ لاَ يَحْيَا
حَيَاةَ النَّاسِ إِذْ تَسْعَى فَلاَ زَرْعٌ وَلاَ سُقْيَا
يَقُولُ لِبَعْضِ هَذَا التُّرْبِ : كُنْ فَيَكُونُ مِنْهُ الْمَاءُ والثَّمَرُ !

2 ـ اليَدُ العُلْيَا

أَيُورِقُ مَقْعَدِي الخَشَبِيُّ يَحْيَا...؟
(مِثْلَ جِذْعٍ قُدَّ مِنْ شَجَرِ
تَوَهَّجَ بَعْضُهُ فِي نَارِ مِدْفَأَةٍ
وَبَاتَ البَعْضُ بَيْنَ الرِّيحِ وَالمَطَرِ،
أَقَامَ النَّمْلُ بَيْنَ شُقُوقِهِ
أَمْسَتْ عَلَيْهِ مِنْ حُرُوفِ العَابِرِينَ
كِتَابَةٌ، تَهْفُو وَتَحْلُمُ
بَيْنَ تُرْبِ الأَرْضِ وَالْحَجَرِ،
غَفَا حَتَّى إِذَا مَا خَضَّهُ فَجْرٌ رَبِيعِيٌّ
صَحَا، إِخْضَرَّ لَيْلُ شُقُوقِهِ

تَنْهَضُ مِنْ أَغْوَارِهِ دُنْيَا...)
فَمِنِّي فَوْقَ مَقْعَدِيَ الأَثِيرِ
سَحَائِبِي تَنْهَلُّ،
شَمْسُ رَبِيعِيَ انْحَلَّتْ، ثَرَى عُمُرِ.

تَدُقُّ السَّاعَةُ الشَّمْطَاءُ تَعْلُو ثُمَّ تَخْفُتُ،
يَسْتَحِيلُ دَوِيُّهَا المَحْزُونُ
بَيْنَ مَقَاعِدِ الرُّوَّادِ
عَنْ مَعْنَى الزَّمَانِ،
تَدُقُّ فِي خَشَبٍ وَمِسْمَارِ
يَعُودُ الفَصْلُ بَعْدَ الفَصْلِ لَيْسَ يَمُوتُ أَوْ يَحْيَا.

عُيُونٌ تَخْتَفِي خَلْفَ الجَرَائِدِ وَالزُّجَاجِ
فَيْنَ أَقْرَأُ حُزْنَهَا، أَرْتَاحُ أَوْ أَعْيَا ؟
خَطَى امْرَأَةٍ يُعَرْبِدُ نَقْرُهَا الوَثَنِيُّ

بَعْدَ النَّفْيِ يَرْتَفِعُ،
وَصَوْتُ سَفَائِنِ المِينَاءِ
تُفْرِغُ قَمْحَهَا - مِنْ يَدِهِ العُلْيَا ؟ -
وَلَيْسَ تُطِلُّ تُبْصِرُ مَا الَّذِي يَقَعُ !

وَيُورِقُ قَدْ عَلَتْهُ خُطِىً
تَهُزُّ الحَبْلَ تَدْمَى، لَوْحُ أَدْرَاجِ
وَتُورِقُ بِالضِّفَافِ الخُضْرِ
أَلْوَاحُ السَّفَائِنِ فِي رُؤَى مِلْحٍ وَأَمْوَاجِ
وَتَعْبَقُ فِي اليَدِ الأَعْقَابُ
فَتَّحَ فِي عُرَاهَا يَانِعُ الزَّهَرِ،
وَيَنْفُخُ فِي رَمَادٍ
مِنْ وَرَاءِ الغَيْبِ صَوْتٌ، فِي مَدىً دَاجِ
نِدَاءٌ : قُمْ إِلَى أَسْمَاءَ
تُورِقُ فِي يَدِ السَّارِينَ بِالحِنَّاءِ والثَّمَرِ.

3 ـ الأَبَدُ المَقْتُول

تَرَكْتُ أَصَابِعِي فِي وَجْهِهِ المُبْتَلِّ، وَقْعَ يَدَيَّ
إِذْ مَسَحَتْ سِتَارَ زُجَاجِهِ الغَبَشِيَّ
مَنْ نَفَسٍ وَدُخَّانِ.

تَوَقَّفَ مَا وَرَاءَ الغَيْمِ مِنْ بَرْقٍ وَأَمْطَارِ
سِوَى مَا عَادَ يَجْرِي فَوْقَ جُدْرَانِ
البُيُوتِ، أَوِ اسْتَقَرَّ بِأَغْصُنِ الأَشْجَارِ
مِثْلَ غَمَامَةٍ، إِنْ حَرَّكَتْهَا قَبْضَةُ الرِّيحِ
تَرُشُّ الرَّحْبَ بِالْمَطَرِ
تُنَقِّطُ فَوْقَهَا مَاءَ،

صفا مِنْ وَقْعِهِ وَجْهُ المَصَابيحِ
وَكَانَ مِنَ الغُبَارِ خَبَا، وَمِنْ ضَجَرِ
اللَّيَالِي، مِنْ جَنَاحِ فَرَاشَةٍ، فَانْهَلَّ أَضْوَاءَ.

أَكَانَ اللَّيْلُ إِذْ أَمْشِيهِ أَصْدَاءَ
تَشُقُّ سُكُونَهُ الحَجَرِيَّ
أَمْ أُفُقاً مِنَ الشُّرُفَاتِ يَنْطَفِئُ ؟
رُخَامَ مَقَاعِدٍ، سَقَّايَةً تَنْهَلُّ
أَمْ أَبَداً يَمُدُّ رَمَادَهُ المَقْتُولَ
فِي لَيْلٍ مِنَ السَّهَرِ ؟
لَقَدْ أَمْسَى وَرَاءَ المَاءِ عُرْسُ المُبْحِرِينَ
أَطَلَّ نَجْمُ الحُلْمِ، فَانْهَمَرَا.

وَحِينَ يُخَلِّفُ النَّاجُونَ مَنْ غَرِقَا
لِلُجِّ البَحْرِ، كَفٌّ تَقْبِضُ الرَّمْلَ، وَعَيْنٌ تَرْمُقُ الشَّفَقَا
وَيَخْبُو الفَزَعُ البَحْرِيُّ
يَنْأَى بَاهِتاً، يَغْدُو رُؤىً، مَطَرَا
يُرَوِّي مَاؤُهُ حَجَرَا
بِحَمْدِ اللهِ أَهْتِفُ مِنْ دُجَى غَوْرِي عَلَى غَرَقِي.

يَضِجُّ اللَّوْحُ مِنْ فَوْقِي، أَتَنْفَتِحُ النَّوافِذُ، قَرْعُ أَبْوَابِ ؟
هُوَ الصُّبْحُ، أَلاَ أَطْيَارَ، مَنْ يَشْدُو يُغَنِّيهِ !
وَمَا زَالَتْ خُطَايَ عَلَى الطَّرِيقِ، وَوَمْضُ أَحْقَابِ
وَتَحْتَ الشَّجَرِ المُبْتَلِّ عَالِيهِ
مِنَ الوَرَقِ القَدِيمِ يَشُدُّنِي،
تَعْرَى الغُصُونُ وَيَكْتَسِي المَيْدَانُ،
أَعْبُرُ غَفْوَةً، قِنِّينَةٌ يَلْمَعُ فِي مَاءِ الشِّتَاءِ
زُجَاجُهَا المَكْسُورُ، أَنْفُضُ رِيشِيَ المَائِيَ
يَسْقُطُ فِي المَدَى مَاءٌ وَأَسْقُطُ ـ هَلْ حَلُمْتُ ؟ ـ أَنَا.

4 - لَيْلٌ مِنْ حَجَر

أَمُرُّ بِهِ : قِبَابٌ سَطْحُهَا قِرْمِيدْ،
شُقُوقٌ سُورَهُ الجِيرِيُّ،
بَابٌ يَرْتَمِي فِي بِيدْ
هِيَ اللَّيْلُ هِيَ الظَّلْمَاءْ،
أَمِنْ تُرْبٍ فَنَوَّرَتِ الذُّرَى
أَعْشَبَتِ الجُدْرَانُ
أَمْ هَذَا نُشُورٌ فِي المَدَى وَفَنَاءْ ؟

أَرَاهُ وَلاَ أَرَاهُ، تَدُقُّ حَلْقَتَهُ
وَقَدْ نَامَتْ، يَدُ الظَّمْأَى
- أَشَحَّ المَاءْ ؟ -

تَدُقُّ نُحَاسَهَا المَنْسِيَّ
فِي عُقَدِ التَّمَائِمِ
بُحَّ مِنْهَا الصَّوْتُ وَالأَصْدَاءْ.

عَبَرْتُ سُكُونَهُ اللَّيْلِيَّ،
مِصْبَاحٌ رَبِيعُ زُجَاجِهِ
غَبَشُ الأَمَاسِي ـ نَامَ، إِنْطَفَأَ
تَنَامُ الرِّيحُ
لَيْلُ العَابِرِينَ
النَّهْرُ
صَوْتُ الأَرْجُلِ العَجْلَى،
سِوَايَ أَنَا،
أَعَادَ اللَّيْلُ مِنْ حَجَرِ ؟

إِلَيْكِ يَا دُمُوعِي
أَمْشِي، إِلَيْكِ يَا جُدْرَانْ
هَذِي خُطَى رُجُوعِي،
مَا أَنْتِ فِي الأَلْوَانْ

بَيْضَاءُ
صَفْرَاءُ
خَضْرَاءُ
أَمْ أَنْتِ قُزَحِيَّهْ ؟)

رُؤىً يَنْشَقُّ عَنْهَا غَبَشٌ وَحُدَاءْ
مُنَدَّاةٌ، أَأُبْصِرُهَا
وَرَاءَ المَاءْ ؟
بَدَتْ لِلعَيْنِ أَشْعَلَهَا السَّبِيلُ
شَرَارَةً وَلِقَاءْ
مَوَاسِمَ سَاحَةٍ جَمَّاءْ

صَدَى أَجْنِحَةٍ مُبْتَلَّةٍ وَصَفِيرْ
عَبِيرُ حَدِيقَةٍ،
سَقَّايَةٌ،
عَيْنٌ تَفَتَّحُ : دَمْعَةٌ وَمَسِيرْ.

5 - رِيَاحُ الضِّفَّةِ الأُخْرَى

اَلرِّيحُ وَالضَّبَابُ لَعْنَةُ الْمِينَاءْ
سَوَاعِدٌ تَغِيبُ، تَنْأَى فِي الْمَدَى، وَفِي يَدِي أَنْوَاءْ
هَبَّتْ مِنَ الخَلْفِ رِيَاحُ الضِّفَّةِ الأُخْرَى
تَحْمِلُ مِنْ تُرَابِهَا رَمَادَنَا
إِنَّا حَرَقْنَا فَوْقَهَا نُفُوسَنَا
نُبْحِرُ فِي البُوغَازِ، نَمْضِي لِلْجَنُوبِ
نَقْصِدُ الْمَعْلُومَ لاَ الْمَجْهُولْ
اَلْبَرُّ مِنْ وَرَائِنَا، أَمَامَنَا، وَضَاقَ هَذَا المَاءْ
ـ مَتَى الْوُصُولُ ؟
ـ بَعْدَ سَاعَةٍ، أَخِفْتَ ؟
ـ لاَ، وَإِنَّمَا هُوَ الدَّوَارُ وَالإِعْيَاءْ.

ـ اَلنَّقْرُ عَبْرَ اللَّوْحِ وَالْحَدِيدِ
(ذَاكَ صَوْتُ الْمَاءْ)
ـ وَاللَّحْنُ خَلْفَ الْمَوْجِ
(صَوْتُ الْمُبْحِرِينَ لِلشَّمَالِ، إِنَّهُ أَصْدَاءْ)
ـ وَذَلِكَ اللَّمَّاعُ فِي الأَبْعَادِ
(تِلْكَ غَيْمَةٌ سَوْدَاءْ)

فَلاأَغْفُ، لاَ جَدِيدَ تَحْتَ الشَّمْسِ
مَاتَ الْبَحْرُ، بَانَتْ عَوْرَةُ الأَشْيَاءْ،
فَلاأَغْفُ، حِينَ يَسْأَلُ الأَهْلُ قَصِيرٌ حَبْلُ قَوْلِي :
ـ اخْتَلَفَ النَّاسُ وَإِنَّ الأَرْضَ مِثْلُ الأَرْضِ،
خَفَّ حِمْلُ مَا أَحْكِي.

مِنْ غَفْوَتِي تَشُدُّنِي الصَّحرَاءْ
أَسْمَعُ صَوْتَ نَبْتِهَا الْخَاوِي
حَامِيَةٌ أَشِعَّةُ الشَّمْسِ عَلَيَّ، فَوْقَ رَأْسِي
مِنْ وَهَجِ الضَّوْءِ أَسُدُّ عَيْنِي
وَفِي شِعَابِ الرَّمْلِ أَمْضِي حَالِماً بِالسَّقْيِ حِينَ صَاحَتِ : اسْقُونِي

هَذِي تِلاَلُ المِلْحِ تَنْمُو
وَالمَبْهَمُ النَّائِي لَهُ اسْمُ
عِمَارَةٌ تِلْكَ، وَهَذَا قَارِبٌ وَنَوْرَسٌ، وَذَاكَ وَهْمُ
رَائِحَةُ الشِّبَاكِ
لَوْنُ الْجِيرِ
إِنَّهُ الْمَدَى.

عِنْدَ الوُصُول لاَ تُغَنِّي فَرَحاً، وَلَسْتَ تَبْكِي
أَمَا تَلُوحُ شُرَفُ الدَّارِ ؟
أَمَا يُنَادِي رَجُلُ الصَّارِي ؟
اَلْبَرُّ، اَلْبَرُّ، اَلْبَرُّ.

6 - صَحْوَةُ الأَضْوَاء

اَلنَّوْرَسُ الأَخِيرُ غَابَ، فَالسُّرَى فَوْقَ صَمِيمِ المَاءْ
لاَ نَعْرِفُ الرَّهْبَةَ، نَمْضِي لِلْعُبَابِ
كَانَ سَاكِناً وَرِيحُنَا رُخَاءْ
أَوْ صَوَّتَ الأُفْقُ وَغَامَ فَالْمَدَى إِعْصَارْ،
اَلقَلْبُ مَاتَ، نَحْنُ قَدْ شِخْنَا عَلَى لَوْحِ السَّفِينِ
البَحْرُ فِي دِمَائِنَا، دَوَاؤُنَا وَالدَّاءْ
لَسْنَا نُغَنِّي حَالِمِينَ بِالْعُبَابِ : «لَيْتَنِي بَحَّارْ».
غِنَاؤُنَا الآنَ وَقَدْ مَضَى بِنَا التَّيَّارْ :
قُبُورُنَا فِي الأَرْضِ شِبْرٌ، هَا هُنَا أَشْبَارْ...

حِينَ أَتَيْتُ الشَّاطِئَ
تَرَكْتُ رَمْلَ البَحْرِ وَالمَرَافِئَ

وَقُلْتُ : أَمْضِي لِسُهُوبِي
مَشَيْتُ فَرْسَخاً وَفَرْسَخَيْنِ
الرَّأْسُ مَرْفُوعٌ وَحَوْمَةُ الدُّجَى إِسْرَاءْ
وَجَبَلاً وَجَبَلَيْنِ
يَنْقُرُ الهَاتِفُ قَلْبِي
قَالَ لِي : هَيَّا وَمَنَّانِي،
فَبِي خَوْفٌ وَإِقْدَامٌ،
مَسِيرٌ وَتَأَبٍّي.

مُسَافِرٌ فِي غَفْلَةِ الأَنْوَاءْ
قَتَلْتِنِي يَا صَحْوَةَ الأَضْوَاءْ
قَاسِيَةٌ وَأَنْتِ تَهْتِفِينَ : حَقٌّ مَا أَقُولُ
قَدْ قُضِيَ الأَمْرُ، وَشُدَّ بِالْيَدِ المَجْهُولُ
لَمْ تَقْبِلِي رَأْسِي إِلاَّ مَقْطُوعَا
مِنِّي، فَهَا أَنَا أَذُوقُ الحَرَّ وَالجُوعَا
يَشُدُّنِي الْتِوَاءُ مَاءِ النَّهْرِ فِي المَجْرَى
أَشْرَبُ مَا يُمْحَى وَأَسْمَعُ الهُرَاءْ.

رَأَيْتُ وَجْهُ العَائِدِينَ الذَّاهِبِينَ قَبْلِي
لاَ يَنْبِسُونَ قَوْلاَ
لاَ يَصِفُونَ ظِلاًّ،
يَاعَائِدِينَ إِنْ تَقُولُوا
أَوْ لاَ، فَمَا يَشُوقُنِي الوُصُولُ
هَلْ ثَمَّ غَيْرُ الرَّمْل ؟

7 ـ شَارِبُ النَّهْرِ

فِي وَقْدَةِ السُّهُوبِ تَرْجِعُ الخُيُولُ
وَهِمَّةُ الرِّجَالِ فِي الصُّدُورِ، مَنْ يَقُولُ ؟
أَكَانَ وَهْماً ؟ لاَ، فَمَا يَزَالُ فِي عُيُونِي
أَحْسِبُ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيَّ
أَهْرَبُ مِنْ يَقِينِي
أَقُولُ هَذِي نَهْدَةٌ إِلَيَّ
(يَاشَارِبَ النَّهْرِ رَوِيتَ فَارْجِعَنَّ عَنْ سَبِيلِي
إِلَيَّ يَاظِمَاْ
فِي وَهَجِ الصَّحْرَاْ
الصَّابِرُونَ عِنْدَهُ، المُغْتَرِفُونَ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ)

يَلْعَنُني دَلِيلِي
يَرُدُّ خَيْلِي وَصَهِيلِي
رَوِيتُ عِنْدَ النَّهْرِ
مَا صَبَرْتُ عَنْهُ، مَا اغْتَرَفْتُ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ

اَلظَّهْرُ لِلظَّهْرِ وَسْعْيُنَا شَتَّى
يَفْصِلُنَا النَّهْرُ، السَّبِيلُ، النَّدَمُ، الأَهْوَاءْ
اَلْعَابِرُونَ غَابُوا
قَدْ فُتِحَتْ وَأُغْلِقَتْ أَبْوَابُ
يَارِيحُ عُودِي بِعَبِيرِ مَنْ يَعِيشُ أَوْ يَمُوتُ
مِنْهُمُو إِلَى سُهُوبِي
فَلَيْسَ لِي سِوَى رُجُوعِي
مَا يُسْتَطَاعُ كُلُّ شَيْءٍ.

أَأَنْتَ مَاءٌ أَمْ حَجَرْ ؟
أَأَنْتَ سُورٌ أَمْ قَدَرْ ؟
حَبَسْتَنِي (سَمِعْتُ عَنْهُمُو
قَرَأْتُ عَنْهُمُو

وَحِينَ يَمْرُقُونَ فِي المَدَى أَقُولُ : هَا هُمُو
وَلَسْتُ مِنْهُمُو)
حَبَسْتَنِي (تَغَيَّرَ الوَجْهُ، العُيُونُ، السَّمَرُ، الحُدَاءْ
يَشُدُّنِي نِدَاءْ :
نَمُوتُ لِلأَشْيَاءْ)
حَبَسْتَنِي فِي نَدَمِي.

8 ـ المَوْتُ عَلَى الأَبْوَابِ

فِي هَذَا اللَّيْلِ تَغِيبُ رُؤًى وَيَمُوتُ حُدَاءْ
قِفْ أَوْ سِرْ، لاَ مِعْرَاجَ بِهَذَا اللَّيْلِ وَلاَ إِسْرَاءْ
اَلْمَوْجُ يَدُقُّ، وَهَلْ هَذِي الأَلْوَاحُ جِدَارْ ؟
قَدْ يَنْحَلُّ المَرْكَبُ أَوْ يَنْهَارْ
فَرَمَيْنَا بَيْنَ ثَنَايَا اللُّجَّةِ أَثْقَالَ الأَسْفَارْ
إِنَّا غَوَّرْنَا فِي الأَبْعَادِ
فَلَمَّا أَنْ قُلْنَا : سَنَؤُوبُ
تَنَادَوْا : قَبْلَ الأَمْوَالِ الأَبْدَانُ،
بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ لِلْبَحْرِ، فَلاَ أَمْوَالَ وَلاَ أَبْدَانْ..

- متْنَا وَحَيِينَا : تيهٌ، تَجْوَالٌ، أَنْوَاءْ
وَهَجِيرُ العَوْدَةِ فِي الأَحْنَاءْ
وَالآنَ نَغُوصُ إِلَى الظَّلْمَاءْ
- عَنْ كُلِّ بَرِيقٍ لَوَّاحٍ أَغْلَقْنَا العَيْنَ
(فَمَا إِنْ كَانَ لَنَا فِي الشَّرِّ قَرَارْ)
عَنْ لَحْنِ حَوَارِي البَحْرِ سَدَدْنَا الأُذْنَ
(الأَهْلُ أَحَبُّ وَدِفْءُ الدَّارْ)
- أَسَفاً، سَنَمُوتُ عَلَى الأَبْوَابِ
الْبَرُّ يَلُوحُ وَيَأْتَلِقُ الْمِينَاءْ
أَلَعِنَّا كُلاًّ، أَمْ مَلْعُونٌ بَعْضٌ ؟
فَلْنَكْشِفْ نَفْسَنَا يَا أَصْحَابِي
أَوْ فَلْنُسْهِمْ مَنْ نَرْمِي لِلأَمْوَاجِ
السَّهْمُ سَيَفْضَحُهُ وَيُعَرِّيهِ.

- لاَ تَرْتَاعُوا أَصْحَابِي فَالْمَلْعُونُ أَنَا
عَجَباً، لاَ. خَلْفَ ظُهُورِكُمُو أَحْيَا
فِي السِّرِّ شَرِبْتُ وَأَنْتُمْ عَطْشَى
رْتَحْتُ وَأَنْتُمْ شَغَّالُونَ،

فَقَأْتُ عُيُوناً،
لِي وَحْدِي كُلُّ اللَّمَعَانِ
وَلِي وَحْدِي كُلُّ الأَفيَاءْ،
ضَاجَعْتُ حَوَارِي البَحْرِ،
جَرَيْتُ وَرَاءَ الشَّرِّ،
بِبَابِ الرَّبِّ أَثِمْتُ، رَمَتْنِي اللَّعْنَةُ فَارْمُونِي.
ـ لَكِنْ مَنْ أَنْتَ ؟
ـ أَنَا أَنْتُمْ.

9 - غَفْوَةُ السُّهُوب

مِنْ أَيْنَ ؟ هَا هُنَا مَدَارُ المَوْتِ وَالحُزْنْ.
بَيْنَ خُطَى أَقْدَامِنَا وَالْعَجَلِ المُسْرِعِ يَحْيَا
بَيْنَ الرِّمَالِ وَالحَجَرْ
يَنْمُو وَيَنْهَضُ الشَّجَرْ !
إِنَّا عَبَرْنَا مَا رَأَيْنَا أَمْسِ شَيْئَا
مَنْ قَالَ : كُنْ، مَنْ مَرَّ مِنْ سُهُوبِي
يَاصَحْوَةَ العَدَمِ فِي هَذَا المَدَارْ ؟

قُبَيْلَ أَنْ تُظلِّنَا

- يَا ظِلَّ هَذَا الشَّجَرِ النَّاهِضِ - مِنْ قَيْظِ الطَّرِيقِ قُلْ لَنَا
مَا السِّرُ ؟

حِينَ عَبَرْنَا مَا رَأَيْنَا أَمْسِ شَيْئَا
وَلاَ سَمِعْنَا : كُنْ، تُعِيدُ المَيْتَ حَيَّا
نِمْنَا، وَهَلْ تَفَتَّحُ السَّمَاءُ
فِي هَذَا السَّبِيلِ غَيْرَ مَرَّةٍ
فَنِمْنَا يَا سُهُوبِي ؟
نَفْتَحُ وَهْناً نِصْفَ عَيْنٍ وَنَقُولُ : هَلْ وَصَلْنَا ؟
- شَدَّنَا الحِوَارُ، لَحْمُ المَيِّتِينَ، لَغْوُنَا
عَنْ رُؤْيَةِ الأَشْيَاءْ
- ضِقْنَا هُنَا
فَافْتَحْ مَنَافِذَ الهَوَاءْ
يَعُدْ إِلَيْنَا فِي شِعَابِ القَفْرِ يَوْماً أَلَقُ الأَحْيَاءْ
- بَلْ سُدَّهَا، هَذِي مَدَارِجُ الْغُبَارْ

أَقْسَى مِنَ الضَّيْقِ عَلَيْنَا
الضَّيْقُ وَالسَّعَةُ فِي قُلُوبِنَا
مِنَ الشُّحُوبِ وَالدَّوَارْ
فَخَلَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَهَا سِتَارْ
ـ لَوْ تَضَعُونَ البَحْرَ فِي يَمِينِي
وَفِي يَسَارِي وَهَجَ الصَّحْرَاءْ
فَلَنْ تَعُودَ بِي إِلَيْكُمُو عُيُونِي.

يَحْيَا فَيُحْيِي فِي الرُّؤَى دِفْءَ البَقَاءْ
وَيُشْعِلُ الأَنْفَسَ فِي لَيْلٍ عَتِيٍّ بِالضِّيَاءْ
حَتَّى تَصِيحَ مِنْ وَرَاءِ السِّتْرِ :
هَذَا الوَمْضُ وَمْضِي،
وَيوهِمُ الأَعْيُنَ فِي قَفْرِ السَّبِيلِ بِالرُّوَاءْ

حَتَّى تَقُولَ عِنْدَ بَابِ القَفْرِ :
هَذَا البَعْثُ بَعْثِي.
أَمَّا عُيُونُنَا فَتَرْمُقُ وَمِيضَهَا
الذِي بَادَ وَمَا لَهَا بِهِ نَصِيبُ،
نَحْنُ غَدَوْنَا فِي عُيُونِ الرِّيحِ مِلْحَاً وَحَجَرْ
جَفَّتْ مَوَاعِيدُ الخُرُوجِ وَالسَّفَرْ
نَسْمَعُ وَقْعَ الزَّمَنِ الهَارِبِ مِنَّا
صَوْتاً يَصِيحُ فَوْقَنَا : شِيخُوا فَشِخْنَا
نَبْضَ الدَّمَاءِ فِي العُرُوقِ الأُخْرَى
وَمَوْتُنَا القَدِيمُ عَادَ فَنَزِيدُ مَوْتَا.

«صرصر» فِي الشِّتَاء

صرصر» : جبل يقع في أقصى الطرف الغربي من سلسلة جبال الريف.

1 ـ تَرِكَةُ اللُّصُوص

مَرَّتْ عَلَى صَدْرِي سَنَابِكُهُمْ، أَيَوْمُ الرَّوْعِ ؟
مَا عَرَفَتْ سُفُوحِي مِثْلَ هَذِي الخَيْلِ،
مُثْقَلَةُ القَوَائِمِ، مَشْيُهَا فَوْقِي وَئِيدٌ
لَيْسَ يَضْرِبُ فِي السَّبِيلِ، وَلَيْسَ يَقْدَحُ بِالشَّرَارْ.
حَطُّوا عَلَيَّ خِيَامَهُمْ، قَالُوا : غَداً أَمْرٌ
وَهَذَا اللَّيْلُ خَمْرٌ
نَسْتَرِيحُ خُيُولُنَا فِيهِ، أَمَا بَلَغَتْ بِنَا هَذَا المَدَار ؟
خُذْ لَهَا عَلْفاً وَمَاءً بَارِداً، وَبِبَابِ هَذَا اللَّيْلِ لاَ تَصْدَعْ : مَنِ الآتِي ؟
مَا بِاللَّيْلِ مِنْ أَحَدِ.
مُرُّوا ثِقَالاً.. تَسْأَلُ السَّنَوَاتُ : مَاذَا يَحْمِلُونَ، لِمَنْ، حَلاَلٌ أَمْ حَرَامْ ؟

قَالَ مَجْرَى النَّهْرِ : مِنْ مَائِي
وَقَالَ الغَابُ : مِنْ وَرَقِي
وَقَالَ التُّرْبُ : مِنْ ذَهَبِي
وَيَهْمِسُ قَائِلٌ : ـ مَنْ يَذْكُرُ الأَسْمَاءَ ؟ مِنْ عَرَقِي.
سَيُعَاقِبُونَ النَّهْرَ
وَيُحَاسِبُونَ الغَابَ
وَسَيَسْأَلُونَ التُّرْبَ
أَمَّا أَنَا ـ مَنْ يَذْكُرُ الأَسْمَاءَ يَا أَهْلِي ؟ ـ فَقَدْ قَتَلُونِي.
مَرُّوا.. فَتَنْغَلِقُ النَّوَافِذُ، لَيْسَ يَحْيَا القَوْمُ !
مَنْ ذَا يَقْطَعُ الأَيْدِي ؟ وَقَدْ وَضَعُوا أَصَابِعَهُمْ عَلَى آذَانِهِمْ أَفْوَاهِهِمْ أَبْصَارِهِمْ
(نَحْنُ الرِّجَالُ الصُّمُّ
نَحْنُ الرِّجَالُ البُكْمُ
نَحْنُ الرِّجَالُ العُمْيُ)
مَرُّوا.. وَقَدْ تَرَكُوا رَمَادَهُمُو بِقَلْبِي، وَالدَّمَار..

2 - الشَّمْسُ وَالأَصَابِع

هُوَ حَاضِرٌ (فِي القَلْبِ مَهْمَا حَجَّبَتْهُ السُّحْبُ
وَ هَبَّتْ بِهِ الرِّيحُ العَقِيمُ فَلَمْ يَبِنْ لِلنَّاظِرِينَ
فَقَالَ بَعْضُ القَوْمِ : أَيْنَ السَّفْحُ
وَالْقِمَمُ العَتِيَّةُ ؟ لَيْسَ فِي هَذَا المَدَى جَبَلٌ !
وَقَالَ البَعْضُ : مَهْلاً إِنَّهُ زَمَنُ البَصِيرَهْ
هَذَا زَمَانُ الغَيْمِ وَالرُّؤْيَا عَسِيرَهْ..)

هُوَ حَاضِرٌ (الأَرْضُ أُمٌّ،
لسَّمَاءُ قَرِيبَةٌ، اَلْغَابُ، اَلْحَيَوَانُ، اَلإِنْسَانُ
يَصْعَدُ فِي الشِّعَابِ فَقَائِلٌ : سِيرُوا بِسَيْرِ ضِعَافِكُمْ
فِي النَّائِبَاتِ، وَقَائِلٌ : أَسْرِعْ، إِلَيْكَ يَدِي
وَغَابَا فِي المَسِيرَهْ..)

هُوَ حَاضِرٌ (يَتَكَلَّمُ المَوْتَى فَتَنْخَلِعُ النُّفُوسُ :
كَانَ يَوْماً مَوْتُنَا أَمْ بَعْضَ يَوْمٍ ؟
قَائِمُونَ، وَإِنَّ هَذَا البَعْثَ صَعْبٌ
قَائِمُونَ، وَكَانَ نَوْمُ المَوْتِ أَشْهَى

قَائِمُونَ، وَإِنَّ ضَوْءَ الشَّمْسِ يُعْشِي
سَائِرُونَ عَلَى الشَّوَاهِدِ، فَوْقَ حَافِرَةِ القُرُون..)

هُوَ حَاضِرٌ كَالشَّمْسِ بَيْنَ أَصَابِعِ الرَّائِينَ، مَنْ لاَ يُبْصِرُ ؟
فَلْتُؤْمِنُوا.. أَوْ فَاكْفُرُوا.

3 - أَحْوَالُ الطَّقْس

اَلْعَابِرُونَ عَلَى ثَنَايَا «صَرْصَرٍ» يَجْرُونَ مِنْ مَاءِ الشِّتَاءِ،
تَجَمَّعُوا تَحْتَ الرِّوَاقِ، تَحَدَّثُوا عَنْ لَيْلَةِ النَّادِي الأَخِيرَةِ
كَيْفَ كَانَ الرِّبْحُ فِيهَا وَالْخَسَارَةُ،
عَنْ شُؤُونِ الغَرْبِ، حَيٌّ أَمْ يَمُوتُ ؟
تَحَدَّثُوا عَمَّا بِعَاصِمَةِ الْبِلاَدِ، وَعَنْ عُلُوِّ النَّهْرِ
هَلْ يَغْدُو كَذَاكَ العَام بَعْدَ شِتَاءِ أَيَّامٍ ؟
فَإِنَّ الرِّيحَ غَرْبِيةٌ
وَهَذِي السُّحُبُ قَاتِمَةٌ
وَذَاكَ السَّفْحُ يُمْطِرُ،
مَنْ يَسِيرُ ؟ تَحَدَّثُوا خَطْفاً وَسَارُوا مُسْرِعِينْ،
لَنْ يَلْتَقُوا عِنْدَ المَسَاءْ
مُتَقَلِّبٌ هَذَا الشِّتَاءْ
طَقْسٌ رَدِيءْ.

قراءة في شواهد «القباب»

• القباب : مقبرة كبيرة بفاس.

1 - بُكَائِية

دَمْعاً وسَلاَماً لِلْمَوْتَى إذْ تَخْضَرُّ الدِّمَنُ، المَرْعَى
وَيَعُودُ إلَى الأَسْوَارِ
إلَى الثُّقَبِ الخَطَّافُ
يَطِيرُ غَمَاماً مِنْ رِيشٍ وَزَعِيقٍ
بَيْنَ الأَوْجُهِ حَتَّى نَحْذَرَ، نَسْأَلَ : أَيْنَ يَكُونُ شِتَاءَ ؟

دَمْعاً (هَلْ كَان شِتَاءُ العَامِ دَفِيئًا ؟
أَوَ كَانَ النَّبْتُ الطَّالِعُ فِي الأَجْدَاثِ أَلِيمَا ؟
قَدْ هَبَّتْ رِيحُ قِيَامَتِكُمْ
تَتَحَدَّى المَوْتَ وَعَادَتْ

فَانْدَحَرَتْ أَصْوَاتُكُمُو انْدَثَرَتْ
فِي البُعْدِ بَعِيدَا..)

وَسَلاَماً (هَلْ لِلْعُشْبِ اليَابِسِ ـ وَقْتاً آخَرَ ـ
أَوْ لِلنَّهْرِ اليَابِسِ فِي الأَسْمَاعِ صَدىً ؟
اَلمَعْبَرُ فَوْقَكُمُو
وَالأَمْرُ كَعَهْدِكُمُو : لَيْسَتْ كُلُّ الأَوْقَاتِ رَبِيعاً..)

دَمْعاً وَسَلاَماً مِنْ مَوْتَى لِلْمَوْتَى.

2 ـ سُورَة تُتْلَى مِنْ بَعِيد

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتاً لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ
فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهْ
وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهْ﴾
إِقْرَؤُوا وَاقْرَؤُوا أَيُّهَا القَارِئُونَ لَنَا وَلَهُمْ
وَاسْأَلُوا وَاسْأَلُوا فِي ذُهُولِ الدُّعَاءِ لَنَا وَلَهُمْ.
فِي سُكُونِي إِلَى السُّورِ، كَانَ عَلِيّاً،
يُغَازِلُنِي اليَأْسُ : أَلاَّ صُعُودَ،
وَبَيْنَ مَشَارِفِ صَحْوِي وَنَوْمِي تَوَهَّجَ صَوْتٌ لَنَا وَلَهُمْ.
فِي انْدِحَارِي إِلَى النَّهْرِ، كَانَ عَتِيّاً،
يُرَاوِدُنِي الخَوْفُ : أَلاَّ عُبُورَ،
وَبَيْنَ شَدَائِدِ أَخْذِي وَرَدِّي سَمِعْتُ هُتَافاً لَنَا وَلَهُمْ.
فِي عُبُورِي إِلَى الظِّلِّ، كَانَ بَعِيداً،
تَبَرَّجَ لِي القَهْرُ : أَنِّي أَنَا الظِّلُّ خُذْنِي
فَهَبَّتْ رِيَاحُ السُّهُوبِ تَقُولُ : حَذَارِ، لَنَا وَلَهُمْ.
إِقْرَؤُوا وَاقْرَؤُوا...

3 ـ شَاهِد مُؤَرّخ بِأَحْدَاثٍ جِسَام

لاَ حَوْلَ
وَلاَ قُوَّةَ إلاَّ باللهْ
هَذَا مَرْقَدُ زَيْنِ النَّاسِ، وَجيهِ النَّاسِ
ابْنِ غَرِيبِ الوَجْهِ بْنِ هَجِينِ الكَلِمَاتِ،
ازْدَادَ (ببُرْجِ الوَرْدَةِ
عَامَ اجْتَاحَ جَرَادُ السُّهْبِ مَدَائِنَ هَذَا الغَرْبِ
وَصَادَفَ عَامَ الجُوعِ فَكَانَ الآكِلَ وَالمَأْكُولْ،
إِذْ صَارَ النَّاسُ بِطَاقَاتٍ، أَرْقَاماً، وَصُفُوفاً،
وَقْتَ اجْتَاحَ الجُذَرِيُّ الأَوْجُهَ وَالأَنْفُسْ،
أَعْمَى النَّاسَ الرَّمَدُ الآتِي، بَصَراً وَبَصِيرَهْ،
أَيَّامَ غَدَتْ فِي الدُّورِ بَنَاتُ الغَرْبِ سَبَايَا،
وَاحِدَةٌ لِلْغَزْلِ وَوَاحِدَةٌ لِلرَّضْعِ وَثَالِثَةٌ لِلْوَطْءْ..)
وَتُوُفِّيَ (عَامَ قَدِ اجْتَازَ البُوغَازَ رِجَالُ الغَرْبِ
إِلَى مُدُنٍ دَكْنَاءَ يَبِيعُونَ الدَّمَ وَالعَرَقَ الفَوَّارَ،
وَكَانَ المَنْبِتُ : أَجْدَرَ، أَجْمَلَ، أَغْنَى، أَصْفَى،
قَالُوا مِنْ غَضَبٍ أَوْ كُفْرٍ، وَالْمِينَاءُ

مَنَادِيلٌ، دَمْعٌ، وَدُعَاءُ :
بَلَدِي - شَرَفِي
دِينِي - عَيْشِي
زَمَنَ الحَرْفِ المَجْرُوحِ وَلَغْوِ الحَانَةِ وَالمَقْهَى
زَمَنَ التَّلْقِيحِ، وَنَقْدِ الذَّاتِ، وَسَبِّ الآبَاءْ..)

قَبْرُكَ أَمْ قَبْرِي
وَاسْمُكَ أَمْ إِسْمِي ؟

4 - مَا أَمْكَنَ سَمَاعُهُ مُرُوراً بِالحَلْقَة

هَارِباً مِنْ يَقِينِي إِلَيْكُمْ
(أَمَا قَدْ هَرَبْتُمْ إِلَيَّ سِنِيناً هُنَا أَوْ هُنَاكَ
تَغَيَّرَتِ الأَوْجُهُ المُتْعَبَاتُ وَمَا تَتَغَيَّرُ عِنْدِي
فَأَنْتُمُ أَنْتُمْ، وَإِنَّ العَمَى وَاحِدٌ فِي العُيُون)
فَهَلْ تَأْذَنُونْ ؟
.. تَارِكاً مِنْ وَرَائِي لِسَانَ المَدِينَةِ وَالنَّاسِ،
مَشْيِي فَيَنْأَى الضَّجِيجُ، سِوَى مَا يَرُدُّ الصَّدَى مِنْ بَعِيدٍ،
وَمِنْ فَجْوَةِ السُّورِ حَيْثُ تَهَدَّمَ كَانَ سَبِيلِي إِلَيْكُمْ قَصِيراً
وَكَانَ الرَّمَادُ، وَكَانَ المَدَى يَفْعَلُونَ عَلَيْهِ

يَنَامُونَ أَوْ يَشْرَبُونَ
(اسْتَحُوا أَيُّهَا الفَاعِلُونَ
انْهَضُوا أَيُّهَا النَّائِمُونَ
كَفَى أَيُّهَا الشَّارِبُونَ)
.. غَارِقاً فِي عَرَائِشِ بَسْمَلَتِي وَصَلاَتِي
أَقُولُ لَكُمْ وَلِنَفْسِي : عَذَابِي الذِي لاَ يُقَالُ
عَذَابِي الكَلاَمُ المَجَازُ وَأَنَّ المَقَالَ اسْتِعَارَهْ
وَأَنَّ العَمَى، وَالرِّجَالَ حُرُوفٌ عِبَارَهْ
.. عَائِداً كُلَّ يَوْمٍ أَنُوءُ بِذَاكِرَتِي، وَرَقِي، وَلِسَانِيَ
أَنْزَعُ أَقْنِعَتِي وَأَقُولُ : لَقَدْ مَرَّ يَوْمٌ،
فَمَاذَا أَقُولُ غَداً لأَشُدَّ العُيُونَ، وَأُورِي الشَّرَارَهْ.

5 - عَوْدٌ عَلَى بَدْء

هَا أَنْتُمْ تَحْتَ الأَرْضْ،
أَلِبَعْثٍ أَوْ مِيلاَدٍ آخَرَ مِنْ هَذَا الرَّحِمِ الأَرْضِي ؟
أَأَقُولُ : بَعِيداً ؟
إِنَّ الأَرْضَ أَمَامِي يَا أَهْلِي : مَوْتٌ فِي مَوْتٍ، قَبْرٌ فِي قَبْرٍ
أَأَقُولُ : قَرِيباً ؟
فَلْتَقُمِ الأَجْدَاثُ لِضَوْءِ الشَّمْسِ
زُهُوراً، أَوْ شَجَراً، أَوْ إِنْسَاناً.

رَمَاد «هِسْبِرِيسْ»

* هسبريس : حدائق أسطورية يظهر أنها كانت تقع في شواطئ المغرب على المحيط الأطلسي.

1 ـ زَجْرُ الطَّيْر

فِي الْعُبُورِ الأَلِيمِ إِلَى الزَّمَنِ المُسْتَحِيلِ
وَتَحْتَ غُبَارِ الْمَدَى وَالسِّنِينِ
رَأَيْتُكُمُو : أُذُناً تَسْرِقُ السَّمْعَ وَالْكَلِمَاتِ
عُيُوناً عَلَى الطَّيْرِ هَلْ سَنَحَتْ فِي المَعَاهِدِ أَوْ بَرَحَتْ
رَايَةً تَسْتَرِيحُ عَلَى حَافَةِ النَّهْرِ دَهْراً

وَلَوْ تَسْأَلُونَ، لَقَالَ السَّبِيلُ : الْعُبُورَ الْعُبُورَ
مِنَ الْبَلَدِ المُسْتَظِلِّ بِرَايَاتِهِ،
وَسُجُوفِ الذِي كَانَ لاَ مَا يَكُون..

وَلَوْ تُبْصِرُونَ لَمَا هَتَفَ المُرْجِفُونَ : تَبَارَكَ هَذَا الَّذِي قَدْ مَشيْنَا !
إِذَنْ لَعَرَفْتُمْ، لَقُلْتُمْ : أَحَقّاً ؟ لَهَانَ الَّذِي لاَ يَهُون

وَلَوْ تَقْدِرُونَ، لأَعْطَيْتُمُو الكُلَّ، فَالكُلُّ لِلْكُلِّ، وَالْبَعْضُ لِلْبَعْضِ
لَكِنَّمَا أَنْتُمُو تَأْخُذُونَ وَلاَ تُؤْخَذُون...

قَدْ رَأَيْتُكُمُو وَرَأَيْتُكِ يَاجَنَّةً مِنْ رَمَادٍ وَوَهْمٍ، غَدَتْ فُرْجَةَ الغُرَبَاءِ
يُشِيرُ الدَّلِيلُ إِلَيْهَا، يَقُولُ :
هُنَا هَبَّتِ الرِّيحُ دَهْراً، وَمَا حَرَّكَتْ شَجَراً أَوْ لَهِيباً، وَكَانَتْ فُصُولٌ
وَمَرَّ لُصُوصٌ، قَضَوْا وَطَراً مِنْ دِمَاهَا، وَيَنْتَظِرُ الآخَرُون..

2 ـ تَحَوُّلاَت التُّفَّاح الذَّهَبِي

أَثْمَرَتْ مِنْ حُدُودِ المُحِيطِ إِلَى النَّهْرِ كُلُّ الحُقُولْ
فَارْتَقَتْ لُغَةٌ، وَلُغَاتٌ تَزُولْ
حِينَمَا أَزْهَرَتْ لَمْ تَكُنْ لُغَةُ البَيْعِ وَالغَبْنِ قَدْ بَدَأَتْ
لَمْ تَكُنْ كَلِمَاتُ السَّمَاسِرَةِ ارْتَفَعَتْ
إِنَّمَا عَبَرَتْ لُغَةٌ هِيَ بَيْنَ الغِنَاءِ وَبَيْنَ الذُّهُولْ..

وَصَلُوا، لَيْسَ لِلَّوْنِ لَوْنٌ، وَلاَ لِلْعَبِيرِ عَبِيرٌ !
هَلِ النَّهْرُ أَخْضَرُ، هَلْ نَزَلَ الثَّلْجُ فِي قِمَمِ الغَرْبِ، هَلْ هَبَّتِ الرِّيحُ ؟
لَيْسَ يَهُمُّ السَّمَاسِرَةَ العَابِرِين !

عَايَنُوهَا، أَمَا انْخَسَفَتْ مِنْ حِسَابِهِمُو ؟
سَكَتُوا، وَتَكَلَّمَتِ اللُّغَةُ المُتَعَالِيَةُ النَّبْرِ :
هَذَا لَكُمْ وَعَلَيْكُمْ، وَهَذَا لَنَا وَعَلَيْنَا،
سَكَتْنَا وَمَا تَتَكَلَّمُ أَيَّامُنَا أَوْ تَقُولْ !

(مِنْ يَدٍ لِيَدٍ تَتَنَقَّلُ هَذِي الحُقُولُ : تُرَاباً، هَوَاءً، وَمَاءً
وَمَا بَيْنَ لِصٍّ قَدِيمٍ وَلِصٍّ جَدِيدٍ تَحَوَّلَ تُفَّاحُهَا الذَّهَبِيُّ،
فَهَلْ كَانَ ذَلِكُمُو قَدَراً وَقَضَاءَ ؟)

أَبْحَرَتْ بِالحُقُولِ السَّفِينُ
إِلَى أَيْنَ ؟ لَيْسَ تُجِيبُ الْعُيُونُ
فَلَوْ أَنَّ هَذِي الحُقُولَ تَقُولُ : كُلُوا جَسَدِي وَاشْرَبُونِي دِمَاءَ،
لَمَا كَانَ حَقّاً..
وَلَوْ أَنَّهَا دُونَ أَهْلٍ - يَنَامُونَ أَوْ يَجْهَلُونَ -
لَمَا كَانَ حَقّاً..

(هِيَ الشَّجَرُ المُسْتَبَاحُ لِمَنْ يَعْبُرُونَ
هِيَ الثَّمَرُ المُسْتَحِيلُ لِمَنْ يَزْرَعُونَ)

وَمَا كَانَ حَقّاً، وَقَدْ نَزَلَتْ - فِي المَوَانِئِ أَوْ فِي المَوَائِدِ -
فَوْقَ رِجَالٍ رَأَوْهَا رَأَوْا رَايَةَ الوَطَنِ المُسْتَحِيلِ عَلَيْهَا، بَكَوْا..
إِنَّهَا إِنَّهُمْ : Exporté du Maroc

3 - شُجُونُ العَرَائِس

عَضَّنَا الدَّهْرُ، هَا إِنَّنَا مِنْ قَدِيمٍ بَعِيداً عَنِ البَحْرِ
نَسْمَعُ كُلَّ غَرِيبٍ، وَنَسْأَلُ عَبْرَ الغَيَاهِبِ رِيحَ الفُصُولْ..
آخِرُ العَهْدِ بِالبَحْرِ إِذْ غَيَّرَتْهُ السُّيُولْ
آخِرُ العَهْدِ بِالبَحْرِ إِذْ لَوَّثَتْهُ المَدِينَهْ
لَيْسَ فِي البَحْرِ شِبْرٌ فَيُرْجَى وَمَا لَوَّثَتْهُ سَفِينَهْ..

آخِرُ العَهْدِ بِالبَحْرِ إِذْ أَخَذَتْنَا الغُزَاةُ سَبَايَا
دَفَعَتْنَا إِلَى الشَّرْقِ،
يَنْأَى المُحِيطُ وَتُشْرِقُ أَيَّامُنَا مِنْ وَرَاءِ مَرَايَا..

إِنَّهُ زَمَنٌ أَطْفَأَتْهُ السَّرِيرَهْ
فَأَطْفَأَهَا وَاسْتَحَالَ رَمَاداً، وَمَا أَشْعَلَتْهُ العَشِيرَهْ..

أَيُّهَا البَحْرُ إِنَّا حَمَلْنَاكَ فِينَا نَقِيّاً، عَلَى البُعْدِ
بَيْنَ الجُنُونِ وَبَيْنَ البُكَاء،
أَتَمْسَحُ مَا أَنْزَلَ السُّوقُ فَوْقَ اللِّسَانِ، فَإِنَّا اشْتَرَيْنَا وَبِعْنَا
وَمَا رَسَمَتْهُ الحُقُولُ عَلَى الوَجْهِ وَالظَّهْرِ مِنْ أَلَمٍ وَنُدُوبٍ
وَمَا تَرَكَتْهُ المَوَاخِرُ فِي اللَّحْمِ مِنْ دَرَنٍ وَوُحُولْ.. ؟
نَحْنُ فِي السُّوقِ أَوْ فِي المَوَاخِرِ أَوْ فِي الحُقُولْ
جَسَدٌ أَحْرَقَتْهُ شُمُوسُ البَرَارِي،
وَحَاصَرَهُ الوَقْتُ بَيْنَ لُحُومِ العَبِيدِ وَبَيْنَ قُرُونِ الوُعُولْ..

4 - التِّنِينُ المَرْمَرِي

«هِسْبِريسُ» تُنَادِيكَ بِاسْمِكَ : قُمْ أَيُّهَا الجَسَدُ المَرْمَرِيُّ،
لَقَدْ دَقَّ كُلُّ غَرِيبٍ عَلَى بَابِهَا، فَانْتَفِخْ بِالدِّمَاءِ
وَحَرِّكْ جَنَاحَيْكَ، إِضْرِبْ عَلَى حَافَةِ النَّهْرِ فِي سُفُنِ الغُرَبَاءِ

«هِسْبِريسُ» غَدٌ فِي أُفُولْ
أُشْرِعَتْ بَابُهَا لِلُّصُوصِ، تَمُوتُ تَزُولْ
يَدْخُلُ الزَّائِفُونْ
يَخْرُجُ السَّارِقُونْ
يَصْعَدُ الخَادِعُونْ
يَنْزِلُ الكَاذِبُونْ
قُمْ، عَلَى حَافَةِ النَّهْرِ عَظْمُكَ جِلْدُكَ لَحْمُكَ مَا زَالَ غَضّاً،
فَإِنَّكَ حَيٌّ فَإِنَّكَ حَيٌّ..

«هِسْبِريسُ» وَمَا حَمَلَتْ مِنْ رَمَادٍ وَمَاءٍ وَبَرْقٍ وَشَيْءٍ
تُنَادِيكَ بِاسْمِكَ،
رِيحُ السُّهُوبِ وَقَدْ حَرَّكَتْ شَجَرَ النَّهْرِ،

وَجْهُ الغُبَارِ وَقَدْ مَلأَتْهُ الكِتَابَةُ،
شَمْسُ المُحِيطِ وَمَا لَوَّنَتْ مِنْ سُفُوحٍ وَغَابٍ،
يَدُ الوَرَقِ المُتَسَاقِطِ فَوْقَكَ غِبَّ المَسَاءِ، تُنَادِيكَ بِاسْمِكْ..

«هِسْبِرِيسُ» تُنَادِيكَ بِاسْمِكَ فِي كُلِّ عَامٍ، تُذَبِّحُ أَبْنَاءَهَا وَتَقُولْ :
مِنْ خِلاَلِ الرَّمَادِ رَأَيْتُكَ نَاراً، فَنَارُكَ فِيكَ فَنَارُكَ فِيكْ..

مَرْثِيةُ السُّورِ الغَرْبِي

1 ـ الأَبْوَاب

يُشْرِعُ السُّورُ أَبْوَابَهُ
يَلْتَقِي فِي المَدَى عَالَمَانْ
يَلْتَقِي الحَرْفُ وَالنَّقْشُ
يَسْكُنُ لِلْوَرْدَةِ العَنْكَبُوتُ
وَيَمْتَزِجُ القَوْسُ وَالخَطُّ
لاَ يَبْغِيَانْ،
لَقَدْ قُضِيَ الأَمْرُ
وَانْدَحَرَ المُرْجِفُونَ
وَهَبَّتْ مِنَ السُّورِ
رَائِحَةُ الجِيرِ وَالْخَشَبِ المُهْتَرِئْ.

كَانَ صَوْتُ المَعَاوِلِ يَعْلُو وَيَخْفُتُ،
إِنَّهُمُو يَفْتَحُونَ
هُنَا وَهُنَاكَ
إِلَى جِهَةِ البَحْرِ بَاباً
سِوَى بَابَيِ السُّوقِ وَالمَقْبَرَهْ.

كَانَ مَا بَيْنَ دَائِرَةِ السُّورِ وَالْبَحْرِ
سِرْبُ نَوَارِسَ،
بَيْنَهُمَا نَجْمَتَانْ

إِذَا عَسْعَسَ اللَّيْلُ،
بَيْنَهُمَا المَوْجُ
يَقْذِفُ بِالْقَارِ وَالرِّيشِ وَالزَّبَدِ المَرْمَرِي.

2 ـ الحِصَار

كَانَ يَنْسَلُّ بَيْنَ العِمَارَاتِ
يَخْفَى وَيَظْهَرُ،
حَتَّى إِذَا مَا التَوَى جِهَةَ النَّهْرِ فِي المُنْتَأَى
حَاصَرَتْهُ المَزَابِلُ
فَامْتَدَّ بَيْنَ الصَّفِيحِ
وَبَيْنَ البُرُوجِ الَّتِي هَجَرَتْهَا اللَّقَالِقُ..

كَانَتْ خُيُوطُ الفِعَالِ التِي
يَنْسُجُ العَابِرُونَ
تُحَاصِرُهُ فِي الفَضَاءِ الذِي عَادَ أَسْوَدَ
فَاغْبَرَّ مَا شَيَّدَتْهُ الأَوَائِلُ
وَانْدَحَرَ العُنْفُوَانْ..

وَفِي المُلْتَقَى حَيْثُ تَبْدُو المِسَاحَاتُ فَارِغَةً
حَاصَرَتْهُ العَلاَمَاتُ
بَيْنَ الكِتَابَةِ وَالمُلْصَقَاتِ،
اخْتَفَى فِي المِدَادِ
وفي الوَرَقِ المُتَجَدِّدِ..

كَانَ الطَّرِيقُ السَّرِيعُ
يُحَاصِرُهُ بِالضَّجِيجِ وَبِالعَجَلاَتِ
وَحِينَ اسْتَدَارَ تَدَلَّتْ عَلَى جَسَدِ السُّورِ
بَيْنَ الغُبَارِ وَبَيْنَ الدُّخَانْ
وَرْدَتَانْ..

3 ـ الكَلاَم

ـ حَاجِزٌ يَمْنَعُ الضَّوْءَ وَالرِّيحَ
لَوْ أَنَّ أَمْرَهُ كَانَ لَنَا لأَزَلْنَاهُ
لامْتَدَّ فِي كُلِّ مَنْحىً سَبِيلٌ
فَمَا كَانَ بَابٌ هُنَا وَهُنَاكَ لِيُجْدِيَ،
لاَرْتَفَعَتْ عَنْ مَدَانَا سُجُوفٌ
انْبَتْنَ فِي كُلِّ بَابٍ شُحُوباً
وَفِي كُلِّ نَافِذَةٍ وَجَلاً وَعِيَاءَ..

ـ لاَ نَرَى السُّورَ يَمْنَعُ شَيْئَا،
فَإِنَّ الفَضَاءَ فَسِيحٌ أَمَامَ المَدِينَةِ
وَالشَّمْسُ فَوْقَ الجَمِيعِ،
وَمَا بَيْنَ دَائِرَةِ السُّورِ طَاب لَنَا العَيْشُ
نَحْيَا، نَمُوتُ.
وَلَسْنَا عَلَى مَا يَرَى المَارِقُونَ.

ـ تَفِيضُ المَدِينَةُ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ
غَدَتْ جَسَداً فِي فَضَاءَيْنِ،
ذَاكِرَةً تَنْفُضُ الجِيرَ تَحْتَ البُرُوجِ
وَأُخْرَى ارْتَمَتْ خَارِجَ السُّورِ،
تَحْيَا هُنَا وَهُنَاكَ.
وَنَحْنُ يَدٌ تَجْمَعُ الوَرْدَةَ البِكْرَ وَالعَنْكَبُوت.

قَصَائِدُ إِلَى ذَاكِرةٍ مِنْ رَمَاد

1 ـ غُرْبَةُ المَاء

رَايَةٌ تَتَنَاسَلُ أَوْ تَتَمَزَّقُ فِي صَخَبٍ وَثَنِيٍّ
غَدَتْ رَايَتَيْنِ
غَدَتْ مِزَقاً
كُلَّمَا اشْتَعَلَتْ لَعَنَتْ أُخْتَهَا
تَغْسِلُ الدَّمَ بِالدَّمِ بِالْفَرَحِ الهَمَجِيِّ
أَكَانَ انْهِزَاماً
لِمَنْ ؟
أَوِ كَانَ انْتِصَاراً
عَلَى مَنْ ؟
فَهَا أَنْتَ ذَا أَيُّهَا البَرْقُ بَعْدَ اشْتِعَالِكَ
تَسْكُنُ بَيْنَ رَمَادِكَ،
كَالمَاءِ فِي الكَأْسِ
يَفْقِدُ ذَاكِرَةَ البَحْرِ، زُرْقَتَهُ
يَتَحَوَّلُ مِنْ كَائِنٍ سَرْمَدِيٍّ

التَّلَوُّنِ وَالْهَيَجَانِ
إِلَى جَسَدٍ دَائِرِيٍّ
غَرِيبٍ عَنِ اللَّوْنِ وَالمَوْجِ
يَسْكُنُ بَيْنَ الزُّجَاجِ
وَبَيْنَ النُّزُوعِ إِلَى البَحْرِ..

2 ـ العُبُور

كَانَ يَعْقِدُ مَجْلِسَهُ لِيُنَظِّرَ،
قَلَّبَ أَوْرَاقَهُ
وَهْوَ يَمْسَحُ لِحْيَتَهُ
وَيَدَخِّنُ غَلْيُونَهُ الآبْنُوسِيَ،
كَانَ يُفَكِّرُ
كَيْفَ يُغَيِّرُ
مُعْجَمَهُ وَتَرَاكِيبَهُ،
كَيْفَ يَعْبُرُ
مِنْ مُطْلَقٍ لُغَوِيٍّ
إِلَى مُطْلَقٍ لُغَوِيٍّ..

رَأى فِي عُيُونِ المُرِيدِينَ
أَسْئِلَةً وَكَلاَمَا
فَقَالَ : انْظُرُوا
فِي مَعَانِي المَعَانِي،
انْبُذُوا الكَلِمَاتِ
الَّتِي لِلتَّوَاصُلِ أَوْ لِلْقَطِيعَةِ..
حَتَّى إِذَا حَمِيَ المَجْلِسُ النَّظَرِيُّ
وَلَعْلَعَ صَوْتُ السِّبَابِ
وَنَعْتُ الخِيَانَاتِ
فَانْكَسَرَ الجَمْعُ،
عَنْ دَغَلٍ خَرَجُوا :
فَفَرِيقٌ نَجَا بِخِيَانَتِهِ
وَفَرِيقٌ مَضَى فِي المَجَامِعِ
يَمْسَحُ لِحْيَتَهُ
ويَدخَنُ غَلْيُونهَ الأَبَنُوسي.

3 ـ تَنَاوبُ النُّبَاح

لَيْسَ يَشْكُو ازْدِوَاجِيَةً أَوْ فُصَاماً
وَلَكِنَّهُ رَجُلٌ ذُو لِسَانَيْنِ
أَوْ هُوَ إِنْ شِئْتُمُو مُلْتَقَى لُغَتَيْنِ
فَيَكْتُبُ أَوْ يَتَحَدَّثُ
مِنْ مَوْقِعِ القُرْبِ وَالبُعْدِ
مِنْ جَسَدِ الدَّائِرَهْ،
فَإِذَا اشْتَعَلَ القُرْبُ
فَلْتَسْتَكِنْ أَيُّهَا الحَرْفُ
وَانْطَفِئِي فِي المَوَاقِفِ أَيَّتُهَا الذَّاكِرَهْ،
وَاسْتَحِلْ يَاسَوَادُ بَيَاضاً
وَكُنْ أَيُّهَا الشَّرْقُ غَرْباً
فَعَيْنُ الرِّضَى تَلِدُ اللُّغَةَ العَاهِرَهْ،
وَإِذَا اشْتَعَلَ البُعْدُ
لَمْ يَبْقَ بَيْنَ الرِّضَى وَالنُّبَاحِ
سِوَى رَكْلَةٍ
ثُمَّ يَأْخُذُ نَوْبَتَهُ ذُو اللِّسَانَيْنِ
بَيْنَ الصُّفُوفِ
لِيَبْدأَ فِي لُغَةِ النَّبْحِ
مِنْ خَارِجِ الدَّائِرَهْ.

٩ ـ شَمْسٌ هَرِمَة

دَفْتَرٌ مَدْرَسِيٌّ قَدِيمٌ
أَعُودُ إِلَيْهِ
أُقَلِّبُهُ بَيْنَ حِينٍ وَآخَرَ
أَقْرَأُ فِيهِ حَيَاتِي الصَّغِيرَةَ،
كَانَتْ حُرُوفِيَ
مَائِلَةً فِي البِدَايَةِ
ثُمَّ اسْتَقَامَتْ
عَلَى الصَّفَحَاتِ الأَخِيرَةِ،
أَقْرَأُ كَيْفَ تَغَيَّرَ
كَيْفَ غَدَا وَرَقاً اصْفَرَاً
اسْتَحَالَ المِدَادُ عَلَيْهِ
تَنَاثَرَ بَيْنَ رُسُومِي الكَثِيرَةِ،
حَيْثُ وَقَفْتُ طَوِيلاً اقْرَأُ
عِنْدَ دَوَائِرَ بَيْنَ سَمَاءٍ وَمَاءٍ،
هِيَ الشَّمْسُ دَائِرَةً
كُنْتُ أَرْسُمُهَا
تَتَوَلَّدُ عِنْدَ الشُّرُوقِ

لِتَكْبُرَ
ثُمَّ لِتَهْرَمَ عِنْدَ الغُرُوبِ
فَأَرْسُمُ أُخْرَى،
وَبَيْنَ الدَّوَائِرِ وَالحُلْمِ
كَانَتْ حُدُودُ رُسُومِي الأَثِيرَة.

5 - سَيِّدَةُ الضَّوْء

كُنْتِ فَوْقِي كَدَائِرَةِ الجُبِّ
لاَ أَتَبَيَّنُ مَا خَلْفَهَا،
ضَجَّةٌ تَتَرَدَّدُ فِي المُنْتَأَى
لَمَعَانٌ تَوَهَّجَ بَيْنَ السُّجُوفِ
فَيُشْعِلُنِي التَّوْقُ
بَيْنَ اليَقِينِ وَبَيْنَ السُّؤَالِ
هِيَ الكَلِمَاتُ
فَمَا بَالُهَا لا تُبِينُ ؟
هِيَ الأَشْيَاءُ

فهل تَسْتبينْ ؟
لَقَدْ كُنْتِ لِي بَيْنَ بَسْمَلَتِي وَصَلاَتِيَ
سَيِّدَةَ الضَّوْءِ
ذَاكِرَةَ المُنْتَهَى
كُلَّمَا أَوْغَلَتْ بِي الرُّؤَى فِي الغُيُوبِ
وَحِينَ عَلاَ فِي المَدَارَاتِ صَوْتُ الهُرُوبِ
تَبَيَّنَ أَنَّ الضَّجِيجَ
مَوَاثِيقُ لِلْجُرْحِ لاَ لِلْوَفَاءِ
وَأَنَّ التَّوَهُّجَ فِي اللَّمَعَانِ
ابْتِدَاءُ انْتِهَاءِ
وَأَنَّكِ سَيِّدَتِي
كُنْتِ لِي..

« يَهُـوذا » العُضْوِي

1 ـ القُبْلة

مَجَامِعُ مُغْلَقَةٌ لاَ تَكَادُ تُجَاوِزُ أَسْمَاءَهَا
خَمْسَةٌ سِتَّةٌ حِينَ تَكْبُرُ،
كَانَتْ إِذَا مَا أَتَاهَا غَرِيبٌ
تُحَاصِرُهُ بِالْقِرَاءَةِ وَالصَّمْتِ
أَوْ بِالحَدِيثِ الصَّقِيعِيِّ
تَنْفَضُّ أَسْمَاؤُهَا وَاحِداً تِلْوَ آخَرَ،
حَتَّى إِذَا مَا خَلاَ الجَوُّ
انْفَكَّ مَا كَانَ قَبْلُ مُعَمَّى
وَمَا كَانَ غَمْغَمَةً وَإِشَارَهْ..

مَجْمَعُ لِلسَّوَادِ هُنَا
مَجْمَعٌ لِلْبَيَاضِ هُنَالِكَ
بَيْنَهُمَا كَانَ،
مَا بَيْنَ جَمْعٍ وَآخَرَ كَانَ،
مَدىً مُغْلَقٌ دَائِرِيٌّ
يُقَدِّمُ فِيهِ يَداً، قُبْلَةً، وَلِسَانَا

وَلَيْسَ إِلَى هَؤُلاَءِ
وَلَيْسَ إِلَى هَؤُلاَءِ

مُبْهَماً جَاءَ - مِنْ أَيْنَ، مَاذَا يُرِيدُ ؟ -
رَأَى بُرْهَةً مَا رَأَى
فَاسْتَقَلَّ بِأَسْمَائِهِ،
مِنْ هُنَا وَهُنَالِكَ جَاءَ بِهَا
ثُمَّ أَشْعَلَهَا لِلرِّهَانِ..

2 - الرِّهَانُ

لِلْمَجَامِعِ أَنْ تَنْحَتَ الكَلِمَاتِ مِنَ الصَّخْرِ
أَوْ أَنْ تُعَانِيَ حُبْسَتَهَا،
وَلَهَا أَنْ تُفَكِّرَ
أَوْ أَنْ تُقَدِّرَ
قَبْلَ الكَلاَمِ،
فَإِنَّ لَهُ البَحْرَ يَغْرِفُ مِنْهُ
فَلاَ يَتَرَيَّثُ
أَوْ يَتَلَفَّتُ
عِنْدَ الرِّهَانِ،

لَئِنْ حَذِرَتْهُ
فَهَا هُوَ يَنْعَتُهَا بِالَّذِي نَعَتَتْهُ
وَإِنْ حَاصَرَتْهُ
فَهَا هِيَ تَحْتَ الحِصَارِ المُعَاكِسِ
هَا إِنَّ مَجْمَعَهُ تَتَكَاثَرُ
أَسْمَاؤُهُ، يَتَحَوَّلُ عُرْساً..
فَلَيْسَ الَّذِي هُوَ عِنْدَ المَقَال
يُشِيرُ، يُعَمِّي
يَقُولُ بِمُمْكِنِهِ
لاَ بِمَا لاَ يُقَال
كَمَنْ هُوَ فِي كُلِّ وَادٍ
يَقُولُ المُحَال
لِيُغْلِيَ مِنْ سِعْرِهِ فِي الرِّهَانْ..

3 - الذّبَاب

مَضَى مُبْهَماً مِثْلَمَا كَانَ جَاءَ..

فَمِنْ قَائِلٍ : آخِرُ العَهْدِ
أَنَّهُمُو قَدْ رَأَوْهُ

يَعُدُّ دَنَانِيرَهُ
بَعْدَ نَفْضِ غُبَارِ القَضِيَّةِ
بَيْنَ رَمَادِ الرِّهَانْ..

وَمِنْ قَائِلٍ : هُوَ بَيْنَ الجُمُوعِ
غَدَا فِي جَدِيدِ المُهِمَّاتِ قَرَّادَهَا،
آخِرُ العَهْدِ
أَنَّهُمُو قَدْ رَأَوْهُ
يُمَارِسُ أَلْعَابَهُ
وَهْوَ يَهْمِسُ مَا بَيْنَ دَوْرٍ وَآخَرَ :
ذَلِكُمُو قَدَرِي وَقَضَائِي..

وَمِنْ قَائِلٍ : هُوَ بَيْنَ الزُّجَاجِ،
رَأَوْهُ وَمَا إِنْ رَأَوْا مِنْ وَرَاءِ السُّجُوفِ
سِوَى جُثَّةٍ،
هُوَ يَعْرِفُهَا
وَهْيَ تَعْرِفُهُ
يَتَأَمَّلُهَا
تَتَأَمَّلُهُ
وَهْوَ يَدْفَعُ عَنْ نَفْسِهِ
بَيْنَ حِينٍ وَآخَرَ سِرْبَ ذُبَابْ..

يَوْمِيَاتٌ ضَدَّ التَّوَاطُؤ

1 - لَيْتَ شِعْرِي

تَغِيبُ فَتْرَةً، تَعُودُ
هَاهُمُو قَدْ غَيَّرُوا الكَرَاسِي
وَنَقَشُوا السُّقُوفْ
وَلَوَّنُوا الجُدْرَانْ
فَائْتَلَقَ المَكَانْ،
يالَيْتَ شِعْرِي هَلْ تغِيبُ
مَرَّةً، ثُمَّ تَعُودُ فَتَقُولُ :
هَاهُمُو
تَغَيَّرُوا..

2 - قَهْقَهَةُ الشَّيْطَان

مَا بَيْنَ مَقْهَى «النَّصْرِ»
وَ «السَّعَادَهْ»
بَابَانِ
مُشْرَعَانِ :
وَاحِدٌ لِذِكْرِ اللهِ
وَالثَّانِي لِطَالِبِي الشَّهَادَهْ
دُونَهُمَا
قَهْقَهَةُ الشَّيْطَانْ
وَزَهْرَةُ البَلاَدَهْ...

3 ـ الخَوْفُ مِنَ المَاء

اَلمَاءُ رَحْمَةٌ
هُوَ الحَيَاةُ
فَاصْدَعْ أَيُّهَا المَاءُ بِمَا أُمِرْتَ
إنَّ الوَهْمَ حَبْلُهُ قَصِيرْ،
مَا بَالُهُمْ حِينَ مَرَرْتَ
كَشَّرُوا عَنْ نَابِهِمْ
ثُمَّ مَضَوْا لاَ يَرْجِعُونْ ؟
مَا بَالُهُمْ لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ فِي المَدَى
سِوَى صَدَى :
نُبَاح

4 - لاَ مُرُور

تَنْتَصِبُ العَلاَمَهْ
تَزْدَحِمُ الأَسْمَاءْ
فِي نَوْبَةِ الأَلْوَانْ،
قَد قَامَتِ القِيَامَهْ
وَبَدأَ المُرُورْ
كُنْ لِصّاً اوْ مُهَرِّباً
كُنْ جُنَّةً أَوْ بَهْلَوَانْ،
قِفْ أَنْتَ، لاَ مُرُورَ
للإِنْسَانْ...

5 - ضِدَّ التَّوَاطُؤ

لِكُلِّ وَقْتٍ حُلْمُهُ
وَإِنْ تُرِدْ فَهَمَّهُ
كَلِمَةٌ
أَوْ فِكْرَةٌ
تَعْشَقُهَا الأَسْمَاءُ،
رُبَّمَا تَحَوَّلَتْ
مِنَ الحُلْمِ
إِلَى العِبَادَهْ
وَرُبَّمَا تَحَوَّلَتْ
- وَقَدْ تَوَاطَؤُوا -
إِلَى إِرَادَهْ...

فهـــرس

قصائد

1 ـ وراء الماء 9
2 ـ اليد العليا 12
3 ـ الأبد المقتول 15
4 ـ ليل من حجر 18
5 ـ رياح الضفة الأُخرى 21
6 ـ صحوة الأضواء 24
7 ـ شارب النهر 27
8 ـ الموت على الأبواب 30
9 ـ غفوة السهوب 33

«صرصر» في الشتاء

1 ـ تركة اللّصوص 39
2 ـ الشمس والأصابع 41
3 ـ أحوال الطقس 42

قراءة في شواهد «القباب»

1 ـ بكائية 45
2 ـ سورة تتلى من بعيد 47
3 ـ شاهد مؤرخ بأحداث جسام 48

4 ـ ما أمكن سماعه مروراً بالحلقة 49
5 ـ عود على بدء 50

رماد «هسبريس»

1 ـ زجر الطير 53
2 ـ تحولات التفاح الذهبي 55
3 ـ شجون العرائس 56
4 ـ التنين المرمري 58

مرثية السور الغربي

1 ـ الأبواب 63
2 ـ الحصار 65
3 ـ الكلام 66

قصائد إلى ذاكرة من رماد

1 ـ غربة الماء 71
2 ـ العبور 72
3 ـ تناوب النباح 74
4 ـ شمس هرمة 75
5 ـ سيدة الضوء 76

«يهوذا» العضوي

1 ـ القبلة 81
2 ـ الرهان 82
3 ـ الذباب 83

يوميات ضد التواطؤ

1 ـ ليت شعري 87
2 ـ قهقهة الشيطان 88
3 ـ الخوف من الماء 89
4 ـ لا مرور 90
5 ـ ضد التواطؤ 91

دار توبقال للنشر

بمستواها العربي

تختار لك كتباً أنت بحاجةٍ إليها

صـدر

□ سلسلة : معالم

● ع. العروي. ع. كيليطو. ع. الفاسي. م.ع. الجابري

○ المنهجية في الأدب والعلوم الإنسانية

● ميخائيل باختين

○ الماركسية وفلسفة اللغة

ترجمة محمد البكري ويمنى العيد

● جان بياجي

○ علم النفس وفن التربية

ترجمة محمد بردوزي

□ سلسلة : نصوص أدبية

● محمد بنيس

○ مواسم الشرق (شعر)

● شوقي عبد الأمير

○ حديث النهر (شعر)

● سيف الرحبي

○ رأس المسافر (شعر)

● عبد الكبير الخطيبي

○ المناضل الطبقي على الطريقة التاوية (شعر)

● محمود درويش

○ وردٌ أقَلُّ (شعر)

يـصـدر

● محمد الشركي

○ العشاء السفلي

رواية

توزيع سوشبريس

.. غارقاً في عرائش بسْملتي وصلاتي
أقولُ لكُمْ ولنفْسي : عذابي الذي لا يُقالُ
عذابي الكلامُ المجازُ وأنّ المقالَ استِعارَهْ
وأنّ العمى، والرّجال حُرُوفٌ عبارَهْ
.. عائداً كُلّ يوْم أنوءُ بذاكرتي، ورَقي، ولِساني
أنْزعُ أقْنعتي وأقولُ : لقدْ مرّ يوْمٌ،
فماذا أقولُ غداً لأشدّ العُيون، وأُوري الشّرارهْ.

الموزع الوحيد في المملكة المغربية
الشركة الشريفية للتوزيع والصحف
(سوشيريس) - الدار البيضاء

22 درهماً